

DOI: 10.54240/2318-015-001-014

دور الأسرى الأوروبيين في احتلال فرنسا للجزائر

The Impact of European Captives on France's Conquest of Algeria

اسم ولقب المؤلف المرسل: سعيد رقاب- said reggab صص 311-323

الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه- جامعة الأغواط- الجزائر

البريد الإلكتروني: sai.reggab@lagh-univ.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: كمال مايدي- kamel maidi

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر- المركز الجامعي- أفلو- الجزائر

البريد الإلكتروني: k.maidi@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الاستقبال: 2024/12/29.. تاريخ المراجعة: 2025/01/10.. تاريخ القبول: 2025/04/28.

الملخص: تباينت العلاقات بين ضفتي الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة بين السلم من خلال المعاهدات تارة، والعداء الذي غذاه الصراع الديني تارة أخرى، وتعتبر القرصنة البحرية مظهرا من مظاهرها، وعاملا هاما في توترها، خاصة من خلال عمليات الأسر التي أنجز عنه تأسيس عدة تنظيمات تعمل لتحرير وافتداء هؤلاء الأسرى.

أثارت قضية الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال العهد العثماني استياء الرأي العام الأوروبي مما دفع بهم الى تأليف ونشر العديد من الدراسات التي حملت طابع اللامصداقية في الكثير من كتاباتها خدمة للكنيسة، وقد قامت هيئات الافتداء بدور بارز في تأجيج الروح الصليبية وإقناع شعوبها وحكامها بضرورة ضرب الجزائر والحد من قرصنتها، مقدمة خدمات لبلدانها في إطار الحرب السرية التي سبقت التدخلات العسكرية.

ظلت عملية افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال الحكم العثماني ولمدة طويلة موردا للرزق ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط اقتصاد إيالة الجزائر، فقد كانت عملية مريحة في نظر الكثير من المؤرخين المحدثين الذين أطلقوا عليها تسمية "التجارة الآدمية"، وبقدر ما

كانت نعمة على الجزائريين كان لمفتدي الأسرى المسيحيين عدة مهام خفية يراد تحقيقها من وراء عمليات الافتداء.

فمن خلال هذه الدراسة سنحاول الجواب عن الإشكالية الآتية: ما هي المهام الخفية للأسرى الأوروبيين في الجزائر؟ وما دورهم في تأجيج المشاريع الصليبية الاستعمارية عليها؟
الكلمات المفتاحية: البحر الأبيض المتوسط، القرصنة، الأسرى، احتلال الجزائر.

ABSTRACT: Relations between the shores of the western Mediterranean fluctuated between periods of peace, marked by treaties, and hostility fueled by religious conflict, Maritime piracy was a prominent feature of these tensions, especially through the capturing of ships, which led to the formation of organizations dedicated to freeing and ransoming captives.

The issue of Christian captives in Ottoman-ruled Algeria ignited European public opinion, prompting the creation of numerous, often biased studies aimed at serving the Church. Ransom organizations played a crucial role in fueling crusader sentiment, persuading populations and rulers to attack Algeria and curb its piracy, thus serving their nations' interests in a covert war preceding military interventions.

For an extended period, the ransoming of Christian captives in Algeria was a significant source of income and wealth, playing a vital role in the economy of the Ottoman Regency of Algiers. Many modern historians have termed this practice "human trafficking." While it benefited Algerians, the redeemers of Christian captives often had hidden agendas.

This study seeks to answer the following question: What were the covert objectives of European captives in Algeria, and how did they contribute to fueling colonial crusades against it?

Keywords: Mediterranean Sea, piracy, captives, Algerian occupation.

مقدمة: شهدت العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال العصر الحديث توترات متكررة، تجلت في سلسلة من الحروب والصراعات، كانت إحدى أبرز ملامح هذه العلاقات ظاهرة الأسر البحري، التي كانت نتيجة حتمية للتفاعلات العنيفة بين الطرفين، إذ تعد ظاهرة بارزة في تاريخ هذا العصر لما لها روابط مع العديد من العوامل السياسية منها والاقتصادية والعسكرية والدينية، وما يميزها كذلك أنها مسّت الجانبين من المسلمين والأوروبيين وخصوصا منهم الأسرى المسيحيين في بلاد المغرب والجزائر إذ عجّت مدينة الجزائر بأعداد كبيرة منهم، والذين لطالما

دونوا في العديد من مذكراتهم وتقاريرهم عن أوضاعهم، إذ نقلوا صورة، أصبحت فيما بعد مؤشرا خطرا على الوضع العام في الجزائر.

لقد استخدمت القوى الاستعمارية الأوروبية، وخاصة فرنسا، قضية الأسرى الأوروبيين كذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر. فقد تم تضخيم حجم معاناة الأسرى وتشويه صورة الجزائر، وذلك بهدف تبرير حملاتها العسكرية وتجييش الرأي العام الأوروبي لصالحها. ففي حين أن عمليات الأسر التي قام بها الجزائريون كانت رد فعل طبيعي على القرصنة الأوروبية، إلا أن القوى الاستعمارية استغلت هذه الظاهرة لتحقيق أهدافها التوسعية. فقد تم تحويل الأسرى إلى رموز للتعذيب والقمع، وتم استخدام قصصهم كأداة دعائية لتشويه الحقائق وجذب التعاطف الدولي، عالجننا في هذا البحث موضوع الأسرى الأوروبيين و دورهم في احتلال الجزائر في خطة مختصرة تناولنا فيها تقديمنا حول مفهوم الأسر و تعداد الأسرى الأوروبيين قبيل الاحتلال في الجزائر ثم تطرقنا لأهم المهام التي قاموا بها خدمة لمصالح دولهم من دعاية و جوسسة و تبشير وصولا الى خاتمة حول حوصلة ونتائج استنبطت عقب هذه الدراسة.

1- مفاهيم حول الأسر:

1-1 تعريف الأسر لغة: أسر (Capture) يأسر، أسر، وإسارا فهو أسر¹ فأسر جنديا أي قبض عليه وأخذه أسيرا في الحرب واستأسر الشخص أي أسلم نفسه وأخذ أسيرا، ومصدره أسر أي قيد، ووضع في الأسر² والأسر هو الحبس والشدة والأخذ³

الأسير: هو المأخوذ في الحرب⁴، والأسير كما جاء في القاموس المحيط هو المأخوذ والمقيد المسجون⁵، وكل محبوس في قيد أو سجن والجمع أسراء وأسارى وأسرى¹، وقد ورد الأسر في

1- مسعود جبران- الرائد معجم لغوي عصري- دار العلم للملايين للتأليف والنشر- بيروت لبنان، مارس 1992- ص 71.
2- احمد مختار عمر وآخرون- معجم اللغة العربية المعاصرة- مج 1- عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة- القاهرة، ط1- 1429هـ/ 2008م- ص 91.
3- عبد اللطيف عامر- أحكام الأسرى والسياسيا في الحروب الإسلامية- دار الكتاب المصري القاهرة- ط1- 1406هـ/ 1986م- ص 76.
4- إبراهيم أنيس وآخرون- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية للنشر- مصر، ط 4- 1425هـ/ 2004م- ص 17.
5- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1، 1999، ص 06.

القرآن الكريم بصيغتين هما أسرى وأسارى وكتاهما تعبران عن الأسير المأخوذ في الحرب²، ويقال للأسير من العدو أسير لأن أخذه يستوثق منه بالإسار وهو القد لثلا يقلت، ويقال أسر فلان أسارا واسر بالإسار³، وهو العقد الذي يشد به الشيء كالحبل أو السلسلة ومنه؛ فإن الأسير هو الأخيد، وإن لم يشد بالإسار، ويوصف بلفظ أسير كل من الرجل والمرأة فيقال: رجل أسير وامرأة أسيرة؛ فيستوي فيه المذكر والمؤنث⁴.

2-1- اصطلاحاً: تعود جذور مصطلح أسير إلى اللغة اللاتينية (capere) بمعنى يأخذ⁵، والأسير هو من يقع تحت يد قوم بينهم وبينه عداوة والحرب دائرة بينهما حياً، سواء في أعقاب القتال الفعلي أو في القتال غير الفعلي⁶.

والأسير عند ابن منظور هو كل محبوس في قيد أو سجن⁷، وقد استشهد بقوله تعالى: "وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا"⁸، كما أنها مأخوذة من الأسر أي الشدّ بالقيد (بالحبل)، وسمي كل مأخوذ مقيد أسيراً، وإن لم يكن مشدوداً بذلك⁹، وجاء في الأحكام السلطانية للماوردي: "الأسرى هم المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء"¹⁰.

1- الطاهر أحمد الزاوي- مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير- الدار العربية للكتاب- ليبيا تونس- ص 55.

2- عبد اللطيف عامر- المرجع السابق- ص 76.

3- جمال الدين ابن منظور- لسان العرب- تج: عبد الله علي الكبير وآخرون- دار المعارف- ط1- 1981- ص 87.

4- منى حماد- الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي 490هـ- 586هـ/ 1097م/ 1191م- جامعة السلطان قابوس- الأردن- ص 55.

5- بلقاسم قرياش- الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال عهد الدايات (1671م/ 1830م)- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر- 2015/ 2016- ص 50.

6- مؤنس أحمد حسين العقاد- أحكام الأسير الفقهيّة دراسة تطبيقية على الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي- الجامعة الإسلامية- غزة- 1433هـ/ 2012م- ص 29.

7- جمال الدين ابن منظور- نفس المصدر السابق- ص 87.

8- صورة الانسان- الآية 8.

9- عبد الرؤوف بن المناوي- التوقيف على مهمات التعاريف- تج: عبد الحميد صالح حمدان- عالم الكتب- القاهرة- ط1- 1990- ص 50.

6- أبي حسن الماوردي- الأحكام السلطانية- تحقيق احمد جاد- دار الحديث- القاهرة - 2006 - ص 206.

والأسرى في الاصطلاح القانوني الدولي: "هم الذين يقبض عليهم من قبل العدو في حالة الحرب"، ويكون عادة من أفراد القوات المسلحة النظامية أو الذين يرافقونهم في مهمات معينة، ويعرف الأسير عند الفقهاء بأنه "كل شخص يؤخذ لا بجريمة ارتكبتها وإنما لأسباب عسكرية".¹

2- الأسرى الأوروبيون في الجزائر: تعد القرصنة المصدر الأساسي لظهور الأسرى الأوروبيين في الجزائر،² الذين سيصبحون فيما بعد إحدى فئات ومكونات المجتمع الجزائري كون أن عددهم أصبح كبيرا خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.³

ويعود سبب الأسر الجزائري للأوروبيين إلى ردة فعل مباشرة لاسترقاق هؤلاء للمسلمين،⁴ كما كان وقوع الأسرى الأوروبيين نتيجة للهجمات المسيحية على المسلمين بشمال إفريقيا مثل حملة مستغانم التي وقع فيها الكثير من الأسرى رفقة قائدهم الكونت دي الكوديت، كما كان يتم القبض عليهم في عرض البحر الأبيض المتوسط أو بالقرب من شبه الجزيرة الإيبيرية،⁵ وكذا في سواحل جنوه، مالطا، نابولي وغيرها.⁶

قبل التحدث عن قضية الأسر وتأثيرها على احتلال الجزائر، يجب أن نذكر بعدد الأسرى الأوروبيين خلال هذه الفترة؛ فابتداء من عام 1578 بدأ عددهم في تزايد حيث بلغ في هذه السنة حوالي 25 ألف أسير، ويمكن اعتبار الفترة الممتدة بين 1580 و1650 الفترة التي بلغ فيها عددهم أوجه؛ ففي سنة 1582 تم أسر 400 شخص من جزيرة كورسيكا⁷، كما أسرت الجزائر حوالي 7035 أسير أوروبي ما بين سنتي 1608 و1618، يشير المنور مروش الى تفاصيل الغنائم

1- بن حمودة مختار- التعريف بأسرى الحرب والقواعد المقررة بالتعامل معها وفقا لقواعد القانون الإنساني- مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية- العدد 4- ص 65.

2- حنيقي هلايلي- بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر- ط1- 2007- ص 64.

3- مروش المنور- دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعار، المداخليل)- ج1- دار القصبة للنشر والتوزيع- الجزائر- 2009- ص 298.

4- يحي بوعزيز- الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة- د.م، ج، الجزائر- 2009- ج2- ص 185.

5- Rudy Chaulet, Olega (2014)- Le Rachat de Cachat de Captifs au xvl e siecle, le cas de la redemption de csnerrras 1560 , 1567 cahiers de la mediterranee-N87-P05.

6- يحي بوعزيز- المرجع السابق- ص 185.

7- عبد القادر حليبي- مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830- ط1- دار الفكر الإسلامي- 1972- ص 252.

المجلوبة في الجزائر ما بين 1619 الى 1621 حيث قدرها بنحو 25 سفينة و 578 أسير منهم 535 اسبانيا¹.

وكما سلف الذكر، فان القرن السابع عشر الميلادي قد شهد تطورا كبيرا في عدد الأسرى، وهذا راجع لنشاط الغزو البحري، حيث بلغ عددهم 25 ألفا إلى ثلاثين ألف أسير (30000)، وقد بقي عدد الأسرى مرتفعا إلى غاية عهد الدايات الثلاثة الأوائل².
جدول يوضح عدد تقديرات لعدد الأسرى قبيل احتلال الجزائر³

السنة	عدد الأسرى الأوروبيين في الجزائر
1801 الى 1805	4200
1806 الى 1810	6820
1811 الى 1815	7950

يقدر ناصر الدين سعيدوني عدد الأسرى سنة 1830 بحوالي 122 أسير⁴.

3- المهام التي قام بها الأسرى الأوروبيون في الجزائر:

3-1- الدعاية: تفنن الأسرى الأوروبيون وقساوسة الفداء في العمل الدعائي بأساليب وآليات مختلفة، ويمكن استخلاص ذلك باستقراء العديد من الكتابات الدعائية ومقارنتها بكتابات أخرى معاصرة لها، وقد يظهر ذلك جليا عند الاستعانة في عملنا النقدي بقراءات وتحاليل لبعض الكتاب والمؤرخين.

عمل القساوسة على إثارة الرأي العام حول قضية تحرير الأسرى وذلك من خلال النشاط الدعائي والذي تمثل في الكتابات والتقارير العدائية ضد الجزائر عبر مجالات مختلفة واصفين معاناة الأسرى، إذ قدموا صورة سوداء عن حياتهم، زيادة على ذلك تحاملت كتابات المفتدين

1- المنور مروش دراسات عن الجزائر في العهد العثماني واقع القرصنة والأساطير- دار القصبة للنشر- الجزائر- 2009- ج 2- ص 311.

2- ناصر الدين سعيدوني- النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1830- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع- الجزائر- 1979- ص 69.

3 - Albert Devoulx, Taschirfat - Recueil de Notes Historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger imprimerie de gouvernement- Alger 1852- P 86.

4- ناصر الدين سعيدوني- الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي- ضمن مجلة الثقافة-

عدد 92- ص 114.

بالطعن في الرموز الثابتة للمجتمع الجزائري كالعادات والتقاليد وحتى الدين الإسلامي¹، ولتوضيح ذلك نذكر على سبيل المثال لا الخصر بعض القساوسة ووصفهم لمعاناة الأسرى في الجزائر:

عبر القس هايدو "HAEDO" عن ظروف الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في هذه العبارات "يعيش الأسرى في الجزائر البربرية حياة بائسة أقسى من أي حياة أخرى في العالم، حيث يعاملون معاملة لا إنسانية، إننا هنا لا نجني إلا الأشواك التي تؤلمنا وتدمينا، نحن رعايا بائسين... فهذه الأوضاع أفقدت بعضنا الفرحة والبعض الآخر نزعت منهم الشرف والكرامة والشجاعة... إن الأسر قدر صعب ومشؤوم"².

كما أشار قوديفروي "GODEFROY" يتعرض الأسرى لأبشع صور العقاب وسوء المعاملة التي لم تكن معروفة تقريبا في كل البلدان الأخرى.

وأيا من الأسرى "بانانتي" حيث ادعى هذا الأخير بأن الأسرى يعيشون حياة مأساوية، وأنهم محرومون من اللباس والغذاء³.

كما ذكر القنصل الأمريكي "كانتارت" أن هناك نقص في شروط الصحة والنظافة... وانتشار العنف داخل السجون⁴.

يتضح لنا من خلال كتابات مفتدي الأسرى أنها تتفق مع رسم صورة سوداوية قاتمة لواقع الأسرى في مدينة الجزائر؛ حيث وصفوا بأنهم يعيشون كالحيوانات... يتعرضون لمختلف مظاهر الذل والهوان، محرومون من الأكل، يقيمون في السجون التي تمثل أماكن القذارة، مكبلين بسلاسل حديدية... إيمانهم المهدد جعل الكنيسة تخوض غمار الحرب من أجل إنقاذ أرواحهم قبل أن تنهار أمام تعذيب الجزائريين الذي لم يشهد له مثيل⁵.

1- بومدين دبداب- المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد- المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية- مج 9-عدد1-جوان 2018- ص42.

2- de Haedo fraydiego- « de la captivité à Alger »-in R.A-n° 39-1895-p 56.

3- Pananti- Relation d'un séjour à Alger - contenant des observation sur l'état actuel de cette régence.

4. جيمس لندر- كانتارت- مذكرات أسير الداى كانتارت قنصل أمريكا في المغرب- ترجمة وتعليق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1982- ص 56.

5. بومدين دبداب - نفس المرجع السابق- ص 43.

إننا بطبيعة الحال لا نسلم بصدق هذه الادعاءات لأن الحقيقة حول واقع الأسرى لا تزال مغيبة خاصة في غياب مصادر محلية تناولت الموضوع بدقة وجدية، فكثيرا ما تكون هذه الكتابات مشوبة بالانحياز ومتأثرة بالظروف التي كتبت فيها، فإذا قورنت بمصادر أخرى فإننا نجد العديد من الأسر وصف معاملته بأنها حسنة بل ان بعضهم اعتنق الإسلام.

فهذا فان لوجي دوتاسي لاحظ بأن أسياده يعاملون أسراهم برفق، ووجد أسرى في بيوت الأثرياء لخدمتهم يلبسون ثيابا حسنة المظهر، ويطعمون طعاما جيدا، وينامون مع مالكيهم في غرفة نومهم، وكانوا محل ثقته، وكان البعض منهم يعلن إسلامه فيصبح وريثا لتركه مالكة...، الأسيرات يعاملن باحترام¹.

إيمانويل: قضى أوقات ممتعة وجميلة مع سيده "مصطفى كارتابون"، وبالرغم مما ذكره كاتشارت من حياة مأساوية في سجون الجزائر إلا أن إيمانويل داراند ذكر أنه لا توجد جامعة أحسن من سجن الجزائر؛ فهناك نتعلم الطب والجغرافيا واللغات...².

فان لوجي دوتاسي: أفضل قضاء عشر سنوات في سجن الجزائر على أن لا أقضي سنة واحدة في سجن إسبانيا.

هنا يمكننا القول: أن دعاية الرهبان حول افتداء الأسرى مبالغ فيها إذ لا يمكننا أن نفهم حكمهم القائل بالوضع المزري، فقد فسح لهم المجال في ممارسة ديانتهم واحتفالاتهم نهاية الأسبوع، لذا نجد الكثير منهم اعتنق الإسلام (ما بين 1609-1619) أكثر من ألفين مسيحي من العديد من الدول أوروبا (08 دول) حسب إحصاء غراماي ما أثار مخاوف الدول الأوروبية³.

2-3- الجوسسة: كانت الجوسسة مجال خصب لنشاط الأسرى في نقل الأخبار ومختلف المعلومات، بمساعدة القساوسة والرهبان مفتدي الأسرى ومن أهم أعمالهم:
- تدوين معلومات وتقارير مفصلة حول الجزائر.

1- rapports des états barbaresques avec les puissances chrétiennes- et l'importance pour celles-ci de les subjuguier- Trad. de l'anglais par Blaquier- Le Normant, imprimeur – libraire – Paris – 1817- p 490.

2-Emanuel- de aranda, relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger- 3eme Edition – bruxelle – 1662-p 201.

3-Abdelhadi,ben mansour,alger XVI e XVII siècle (journal de jean- baptiste gramaye)- editions du cerf,paris – 1998- pp 105-106.

- أغلب المدونات تحت على ضرورة غزو الايالة الجزائرية في إطار الحرب السرية المعلنة ضد الجزائر.

- لا يوجد فرق بين جندي مسيحي وجاسوس ماعدا أن الأول عدو ظاهر والثاني متخفي على حد قول المؤرخ الأستاذ مولاي بلحميسي¹.

- الرهبان والقساوسة لهم الحظ الأوفر في الجوسسة نتيجة تعاملهم مع مختلف فئات الحكام بالجزائر خلال حرب العثماني حيث تم التعرف على نقاط القوة والضعف داخل الايالة وارفعوها بالتقارير أرسلت الى بلدانهم الأصلية تثير الحقد الصليبي المسيحي ضد مسلمي الضفة الجنوبية بالمتوسط إذ نصبوا أنفسهم منظرين للحملات الأوروبية الحربية ضد الجزائر. نماذج من نشاط الجوسسة: 1609 كتب الأب "جيانولا" تقريراً مفصلاً أبدى فيه ووضح طريقة القضاء على الايالة " هذا البلد الذي يمثل الجحيم بالنسبة للجميع فهو في منضوري يستحق تعزية ومواساة...." وبالتالي هون مأمورية الغزو الأوربي للجزائر.

- 1603: قتل الأب "الفرانيسكاني" لأنه هرب أسرى يحملون تقارير مكتوبة موجهة الى ملك اسبانيا.

- 1619: "غراماي" تقارير حول صورة مدينة الجزائر من الداخل والخارج؛ كما صور حياة ومعاملة الأسرى، ودرس الوسائل الناجعة لتعطيم الجزائر، وجميع إيالات المغرب الإسلامي في إطار عمل سماه Lafricailustrata، ويتضح من خلال ما تقدم أن القساوسة كانوا عيون أوروبا في الجزائر؛ لذلك عملت الدول الأوروبية على استثمار تقاريرهم فور قدوم أول فرصة جدية لاحتلال الجزائر؛ فالفرنسيون بعد معركة نافارين 1827 استخرجوا من خزائن أرشيفهم التقارير والتنبؤات التي كتبها أساقفتهم حول الجزائر؛ بخاصة تلك التي كتبها الأسقف "بوسوي"، والتي جاء فيها ما يلي مخاطباً سكان الجزائر "ستسقطين تحت أقدام غالبك وستهاجمين في عقر دارك مثل نسر يصطاد في عشه بين الصخور المستعصية..."².

1- moulay, belhamissi- les captifs algeriens et l'europe chretienne- entereprise national du livre- alger- 1988- p 90.

2. مولود قاسم- شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830- ج1- ط1- دار البحث- قسنطينة- 1985- ص223.

3-3- التبشير: كان الأسرى المسيحيين في الجزائر يتمتعون بحرية المعتقد وزيارة الكنائس في الأعياد الدينية وممارسة طقوسهم بدون قيود , إذ أحصى الأب دان 1643 أن هناك ثلاث كنائس في الجزائر (الثالوث المقدس في سجن الباشا , وكنيسة القديس روش في سجن علي بتشين وكنيسة القديسة كاثرين)¹.

عملت الدول الأوروبية على إرسال الكثير من المبشرين والقساوسة الى البلاد الإسلامية للحويلة دون أسلمة الأسرى وهذا ما دعا إليه الأب غراماي قائلاً لأبد من حضور ديني أو مسيحي كبير وقوي في بلاد المغرب الإسلامي ولهذا يجب على الكنيسة إرسال مبشرين وقساوسة أكفاء وحيويين الى البلاد البربرية تحت قيادة قسيس يشرف على عملهم².

وقد أكد مولاي بلحميسي "أن البعثات الدينية كانت تؤدي دور الحروب الصليبية، لكن بوسائل مختلفة ليبقى الهدف نفسه مع استعمال أسلوب المخدرات الهادئة"³، لذلك نجدها كثيراً ما تسعى الى استمالة العنصر الإسلامي من خلال التبشير عبر مختلف مؤسساتها الاستشفائية و الصيدليات التي فتحت داخل السجون وهذا ما أشار إليه الأب "مونوري" بأن الأتراك والحضر والمسلمين يأتون الى زيارة هذه المؤسسات طلباً للاستشفاء⁴.

وقد نجح الكثير من القساوسة في تأسيس عدة مؤسسات استشفائية مسيحية على غرار المستشفى الاسباني الذي أسسه الأب كابسان 157، وكذلك الأب "سان فنسن دول بول" الذي أرسل إخوانه الى مدينة الجزائر لافتداء الأسرى وكأن برفقتهما جراح الذي عمل على تأسيس مستشفى صغير⁵.

1- Pierre, dan- histoire de barbarie et ses corsaires -livre 03-imprimerie pierre rocolet, paris, 1637- p430.

2-Abdelhadi,ben mansour- op.cit- p255

3- moulay belhamissi- op.cit-p30

4 -Jean mesnage- le christianisme en afrique (église, mozarabe, esclaves chretiens)- adolphe jourdan – paris – 1915 – p 202.

5.بومدين ديداب - نفس المرجع السابق- ص 47.

وهكذا نجد النشاط التبشيري أدى الى نجاح القساوسة في إثارة دول ارويا ضد المسلمين ومنه أخذت هذه الدول تعتمد عليهم في تبرير غاياتها وتوجيه مقاصدها السياسية إذ تطور الأمر بعد ذلك ليصبح قناصمة فرنسا هم من يمثلون الكنيسة المسيحية في بلاد المسلمين¹.

4- **افتداء الأسرى:** شهدت عملية الفداء في الجزائر نشاطا كبيرا حتى اكتسبت الطابع الاقتصادي وعرفت بالتجارة الأدمية التي كانت تدر أرباحا طائلة , وقد تم إرسال تجار وقناصل الى شمال إفريقيا من اجل التفاوض أو عقد معاهدات صلح لتسهيل هذه العملية كما كان للكنيسة دور في عملية الفداء حيث تم إرسال الرهبان المتدينون لتخفيف الضغط على الأسرى، لهذا نجد تعدد طرق الفداء التي ساهمت فيها مختلف الأطراف والوسائط أهمها:

الطوائف والتنظيمات الدينية الاسبانية والفرنسية:

تنظيم الثالث المقدس وتنظيم الإداري:

تنظيم سيدة الرحمة²: بالإضافة الى نشاط أباء الفداء الذين قاموا بجمع التبرعات المالية من مختلف البلاد المسيحية و الأوروبية عن طريق سرد قصص و روايات حول واقع الأسرى من اجل الافداء.

ومن هنا نستطيع القول أن الأسرى الأوروبيين كانوا محورا مهما في العلاقات الجزائرية الأوروبية , لأن الكثير من الأزمات الدبلوماسية والسياسية كأن مرادها وقوع مواطنيها في يد بحارة الجزائر، وفشل المفاوضات لتحريرهم.

ولقد أدى توتر تلك العلاقات إلى:

- العمل على عقد معاهدات صلح والعمل على تحرير قدر اكبر من الأسرى.
- التفكير بتنظيم حملات أوربية مسيحية مشتركة للقضاء على إيالة الجزائر واحتلالها.
- شنّ العديد من الحملات الأوروبية على الجزائر لمعاقبها وتحرير أسراها كان آخرها الاحتلال الفرنسي وخير دليل على ذلك ما نستشفه من رسالة بولينياك الى الدوق دولي فار³.

1. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد- تاريخ الجزائر العام- الجزء 3- الطبعة 7- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1994-ص163.

2. حفيظة خشمون- مهام مفتديي الأسرى و التزامهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي- تحت إشراف كمال فيلاي- جامعة منتوري 2006/2007- صص 30-40.

3- أبو القاسم سعد الله- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- ج1- صص 267-268.

الخاتمة: إن الملاحظ عند دراسة قضية الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني يرى أن اغلب المصادر الأوروبية قدمت صورة سوداء عن حالتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، لكن عند التدقيق في الأمر سيفاجأ بأن ذلك لم يكن إلا دعاية دينية ضد الجزائر من جهة، ومن جهة أخرى مطية لإيجاد ذرائع لتحقيق أغراض خفية بغية احتلال الجزائر.

إن تقارير الأسرى المسيحيون حملت الكثير من اللامصداقية كونها كانت عبارة عن ملاحظات ولهذا كثير منها حمل التضخيم في طياتها خدمة للكنيسة الأوروبية والسلطة المركزية من اجل الإسراع في التحرير وكسب تعاطف الجماهير الأوروبية والتفكير جديا في القضاء على قوة الجزائر الدولية.

وما نستشفه كذلك من خلال هذه الدراسة أن وضعية الأسرى في الجزائر كانت أفضل بكثير من وضعية المسلمين في أوروبا , لكن الدعاية المسيئة التي طالت الجزائر جعلت الأمر أكثر صعوبة في فهم الوضعية الحقيقية للأسرى الأوروبيين، مستغلة ذلك النص الذي خلفته المصادر العربية التي اهتمت بالجانب الديني كما يقال "هم يملكون أسوأ سلعة بأحسن ترويج في الوقت الذي يملك فيه المسلمون أحسن سلعة بأسوأ ترويج".

قائمة المصادر والمراجع:

- سورة الانسان - الآية 8.
- إبراهيم أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية للنشر - مصر، ط4- 1425هـ / 2004م. - احمد مختار عمرو وآخرون - معجم اللغة العربية المعاصرة - مج 1 - عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة - القاهرة، ط1- 1429هـ/ 2008م.
- أبو القاسم سعد الله- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - ج1- دار البصائر للنشر والتوزيع- 2007
- أبي حسن الماوردي - الأحكام السلطانية - تحقيق احمد جاد - دار الحديث - القاهرة - 2006
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد - تاريخ الجزائر العام - الجزء 3- الطبعة 7- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1994.
- الطاهر أحمد الزاوي - مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير - الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس.
- المنور مروش - دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعار، المداخيل) - ج1- دار القصة للنشر والتوزيع - الجزائر - 2009.
- المنور مروش دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (واقع القرصنة والأساطير) - ج2 - دار القصة للنشر - الجزائر - 2009 الجزء 2.
- بلقاسم قرياش- الأسرى الأوروبيين في الجزائر في الجزائر خلال عهد الدايات (1671م/ 1830م) - أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة - مصطفى اسطنبولي معسكر- 2015/2016.
- بومدين ديداب - المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد - المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية - مج 9- عدد1- جوان 2018.
- جمال الدين ابن منظور- لسان العرب- تح: عبد الله علي الكبير وآخرون - دار المعارف - ط1- 1981.
- جيمس لنذر- كانتكارت - مذكرات أسير الدايا كانتكارت قنصل أمريكا في المغرب - ترجمة وتعليق إسماعيل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1982.

- حفيظة خشمون- مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي- تحت إشراف كمال فيلاي- جامعة منتوري 2006/2007.
- حنيفة هلايلي- بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني - دار الهدى- عين مليلة - الجزائر - ط1- 2007.
- عبد الرؤوف بن المناوي - التوقيف على مهمات التعاريف - تع : عبد الحميد صالح حمدان عالم الكتب- القاهرة- ط1- 1990.
- عبد القادر حليبي- مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 - ط1 - دار الفكر الإسلامي - 1972.
- عبد اللطيف عامر- أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية - دار الكتاب المصري القاهرة- ط1- 1406 هـ/ 1986 م.
- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1999.
- مختار بن حمودة - التعريف بأسرى الحرب والقواعد المقررة بالتعامل معها وفقا لقواعد القانون الإنساني - مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية - العدد 4.
- مسعود الرائد جبران- معجم لغوي عصري- دار العلم للملايين للتأليف والنشر- بيروت لبنان، مارس 1992.
- منى حماد- الأسرى المسلمون والصلبييون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي 490 هـ - 586 هـ/ 1097 م/ 1191 م- جامعة السلطان قابوس- الأردن.
- مولود قاسم - شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية قبل 1830- ج1- الطبعة الأولى - دار البحث - قسنطينة 1985.
- مؤنس أحمد حسين العقاد- أحكام الأسير الفقهية دراسة تطبيقية على الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي - الجامعة الإسلامية - غزة- 1433 هـ/ 2012 م.
- ناصر الدين سعيدوني - الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي- ضمن مجلة الثقافة- العدد: 92.
- ناصر الدين سعيدوني- النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1830- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر - 1979.
- يحيى بوعزيز - الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة، د.م.ج، الجزائر 2009- ج2.
- Abdelhadi, ben mansour, alger XVI e XVII siècle (journal de jean- baptiste gramaye) - editions du cerf, paris – 1998 - pp 105-106.
- Albert Devoulx, Taschrafat - Recueil de Notes Historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger imprimerie de gouvernement - Alger 1852- P 86.
- de Haedo fraydiego- « de la captivité a Alger »- in R.A - n° 39- 1895- p 56.
- Emanuel - de aranda, relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger - 3eme Edition – bruxelle – 1662 - p 201.
- Jean mesnage - le christianisme en afrique (église, mozarabe, esclaves chretiens) - adolphe jourdan – paris – 1915 – p 202.
- moulay belhamissi - les captifs algeriens et l'europe chretienne- Entereprise National du Livre alger- 1988- p 90.
- Pananti- Relation d'un séjour à Alger - contenant des observation sur l'état actuel de cette régenc.
- Pierre, dan- histoire de barbarie et ses corsairs -livre 03- imprimerie pierre rocolet, paris 1637- p430.
- rapports des états barbaresques avec les puissances chrétiennes - et l'importance - pour celles- ci de les subjuguier - Trad. de l'anglais par Blaquier - Le Normant, imprimeur – libraire – Paris – 1817 - p 490.
- Rudy Chaulet, Olega (2014)- Le Rachat de Cachat de Captifs au xvi^{ème} siecle, le cas de la redemptiom de cisneros 1560, 1567 cahiers de la medeterranée- N87-P05